العصر العباسي

بعد سقوط الدولة الأموية قامت دولة العباسيين الذين يمتد نسبهم الى العباس عم الرسول ﷺ التي امتدت فترة حكمها (١٣٢-٦٥٦هـ، ٧٥٠- ١٢٥٨م) ، ونقلت عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد .

وقد بدأت الدعوة للعباسيين في مدينة خراسان بسبب بعدها عن دمشق ، وبسبب غلبة الروح العدائية في دمشق ضد الأمويين ، فقاد أبو مسلم الخراساني الدعوة لبني العباس ، وتضافرت عوامل الضعف الداخلي لتضع نهاية لحكم بني أمية ليبدأ عهد من الازدهار السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتبلغ الدولة أقصى اتساعها شرقا وغربا فقد تمكن العباسيون من الوصول إلى إقليم السند وزيادة النفوذ العربي الإسلامي هناك ، كذلك وصلت البحرية العربية الإسلامية في عهد العباسيين الى المحيط الهندي وتمكنت من الدخول إلى الجزر الهندية وجنوب الصين وأصبحت مدينة البصرة العراقيه من أهم الموانئ العالمية ، كما بسطت الدولة نفوذها على أقاليم السند ومصر والمغرب والأندلس، فأسهم مسلمو هذه المناطق في الحياة الاقتصادية، والفكرية وبرع كثير من هؤلاء في مختلف العلوم الإسلامية العربية. وسيطروا على الجيش والإدارة، وقادوا معظم الحركات الاستقلالية في العصر العباسي الثاني ، **ليمتد حكم العباسيين ٥٢٤ عاما .**

عصور الخلافة العباسية :

قسم المؤرخون الخلافة العباسية إلى ثلاثة عصور ذات ملامح متباينة كما يلي:

أ- العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢ه)، كانت السلطة في أيدي الخلفاء.

ب- العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٥٩٠ه)، انتقلت السلطة السياسية إلى قوى أخرى مثل

- الأتراك (٢٣٢- ٣٣٤ه).
- والبويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ه).
- والسلاجقة (٤٤٧ - ٥٩٠ه).

ج- العصر العباسي الثالث (٥٩٠ - ٦٥٦ه)، عادت السلطة إلى الخلفاء، ولكن في بغداد وما حولها دون سائر العالم الإسلامي.

أسباب سقوط الدولة العباسية:

مع موت الواثق سنة ٢٣٢ هـ انقضى عهد عظمة العباسيين، إذا لم يخلفه إلا رجال ضعاف لم يضيفوا جديدا إلى سابقيهم ، يوليهم الأتراك أو الفرس ذووا النفوذ ويعزلونهم، أو يقتلونهم متى أرادوا .. على أن اسم الخلافة العباسية استمر ببغداد حتى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) حتى أغار عليها هولاكو المغولي، فانقضت بذلك الدولة العباسية.. وأفل نجمها .

أما أسباب سقوط هذه الدولة فكثيرة أبرزها :

١- تفوق العناصر غير العربية :

كان الأمويون يعتمدون على العرب، ويولونهم المناصب العالية كلها، مما أثار حفيظة (غيظ) الموالي من الفرس فعملوا على القضاء على دولتهم، لعلهم يستردون شيئاً من سابق نفوذهم وسلطانهم القديم فأخذوا ينشرون الدعوة لبني العباس، وتمكنوا في النهاية من انتزاع الخلافة من الأمويين فجاءت دولة العباسيين فارسية الصبغة وقد عمل الفرس على إقصاء العصبية العربية عن الخلفاء بحجة أن العرب يطمحون إلى الخلافة، فأصبح الفرس يحكمون الدولة، كما نرى ذلك ممثلاً في سطوة البرامكة ولما خشي المعتصم مغبة الأمر استكثر من المماليك الأتراك واتخذ منهم جنداً استعان بهم على الفرس والعرب معاً.

٢- سوء الحالة الاقتصادية :

بعد أن وطد خلفاء العصر العباسي الأول أركان الملك، جاء من بعدهم حكام أخلدوا إلى الدعة ، وأمعنوا في الترف وجر ذلك إلى كثرة في النفقات وزيادة الضرائب، فانحطت موارد الثروة وقل إيراد الحكومة وضعفت بالتالي شوكة الدولة وعجزت عن تحصيل ضرائبها.

٣- ظهور الدويلات المستقلة:

تمكن العلويون من اقتطاع أجزاء من الدولة العباسية أصبحت مستقلة عنها ومنها:

- **دولة الأدارسة في المغرب.**
- والدولة الفاطمية التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى اليمن والحجاز.
- ودولة بني بويه التي سيطرت على بغداد، وغير ذلك من الدول في العالم الإسلامي ويضاف إلى ذلك أن اتساع الرقعة العباسية حمل الخلفاء على تعيين حكام من أعوانهم على المناطق النائية فعمد أولئك الحكام إلى الاستقلال بمقاطعاتهم عن بغداد.

٤- تعدد الأجناس والمذاهب:

لم يكن تعدد الأجناس وظهور مذاهب دينية معروفاً أيام الأمويين بل سرت إلى الإسلام في العصر العباسي من الديانات القديمة كالمجوسية والمانوية والمزدكية وقد أدى ذلك إلى كثرة الملل والنحل، كما أذكى نار العداوة بين المسلمين فتفرقوا مللاً وأحزاباً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

الحياة الاجتماعية :

قلد العرب أصحاب المجتمعات الأخرى في نظام معيشتهم :-

- في الأكل افتنوا في أنواع الأطعمة والمأكولات.
- وفي الملبس تأنقوا في ثيابهم وملبوياتهم

- وفي معيشتهم ابتنوا القصور، واتخذوا الخدم والجواري والغلمان. وعاشوا حياة الرفاهية والدعة .
- كما ظهرت مجالس اللهو والغناء ، وورث المجتمع العباسي من الفرس كل ما كان عندهم من أدوات لهو ومجون.

الحياة الثقافية والعلمية في العصر العباسي الأول التواصل بين الحضارات :

وصلت الدولة أقصى اتساعها لتضم بلاد السِّند، وخراسان، وما وراء النهر، وإيران، والعراق، وجزيرة العرب، والشام، ومصر، والمغرب وهي أوطان متباينة في الجنس واللغة والثقافة، وفي ظل الحكم العباسي الجديد أخذت عناصرُ هذه الشعوبِ المختلفة تتمازج مع العنصر العربي لغويا وثقافيا، حتى غَدَتْ كأنها جنس واحد.

ولا يعني ذلك أن جميعَ أصحاب هذه اللغات القديمة هجَروا لغاتهم تمامًا؛ ولكن هذا الامتزاج نشأ عنه دخولُ بعض كلمات نبطية وآرامية إلى العربية، كما دخَل إلى العربية ألفاظٌ هندية، وخاصة في أسماء النباتات والحيوانات، مثل: الأبنوس، والببغاء، والفُلفل، كما دخل بعضُ ألفاظ يونانية، وخاصة ما اتصل بأسماء المقاييس والموازين، والأمراض والأدوية مثل: القيراط، والأوقية، والقولنج وغيرهما. وتعلم سكان الأقاليم التي فتحها العباسيون العربية إلى جانب لغتهم وأتقن العرب هذه اللغات الجديدة فقد كان الأصمعيُّ العربي يفهم ما يدور في لسان بعض الفُرس..

يَقول الجاحظ عن قاصٍّ وواعظ من وعَّاظ البصرة، هو موسى الأسواري: "كان من أعاجيبِ الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلِسُ مجلسه المشهور به، فتقعد العرب عن يمينه والفُرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله تعالى ويفسِّرُها للعرب بالعربية، ثم يحوِّل وجهه إلى اليسار، فيفسِّرها لهم بالفارسية، فلا يُدرَى بأي لسانٍ هو أبيَنُ".

ولأن اللغة العربية مرنة فقد اتصلت العربيةُ بكل هذا التراث الذي احتوته البلادُ المفتوحة منذ العصر الأموي، وعمِلت على المزجِ بينه وبين معارف العرب وآدابهم، وظهر ذلك في صور مختلفة ، منها:

- الترجمة .
- ونقل العلوم الفلسفية، ومنها: العلوم التطبيقية؛ كإنشاء المدنِ، وضبط الدواوين، وعمل الأساطيل، وإعداد الجيوش والنهوض بالزراعة والتِّجارة.

وهكذا امتزجت هذه الثقافاتُ من فارسية وهندية، ومن يونانية وعربية، ومن يهودية ونصرانية، فضلاً عن الثقافة الإسلامية، في المجتمع العباسي، في العصر العباسي الأول، فكوَّنت تيارًا ثقافيًّا متنوعًا مختلف الطعوم والألوان، مختلف العناصر والمذاق.

الحركة العلمية والثقافية:

كان القرآن والحديث؛ محور اهتمام الدارسين وطلاب العلم إضافة إلى علوم الطب الذي أسست له مدرسة بجنديسابور، أسَّسها النساطرة، كما اهتم طلاب العلم بدراسة الطبيعة، والكيمياء، والهيئة، والمنطق، والإلهيَّات.

وفي ظل النهضة العلمية في هذا العصر وُضِع تفسير القرآن، وجُمِع الحديث، ووُضِعت علومه، ووُضِع النحو وعلم العَروض، ودوِّنت أشعارُ العرب وكُتِبت عليها بعضُ الشروح، ودُوِّن الفقه على يد الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة، ودوَّن التاريخَ الواقديُّ وابنُ إسحاق والطبريُّ.

ومن الناحية الأخرى، تُرجمت كتب الفلسفة، من منطق ورياضيات، وهيئة، وطب، وغيرها، وبدأ العلماءُ يؤلِّفون فيها.

وظهر المعلمون وتنوعت طوائفهم ، فكان منهم معلمو أولاد العامة في الكتاتيب ومعلِّمونَ لأبناء الخاصة، وبرز منهم اللُّغويُّ والإخباريُّ، والفقيهُ والمحدِّث، والمقرئ، وكانوا يعلِّمون أبناء الطبقة العليا؛ كالقادة، والوزراء والخلفاء، ويسمَّى الواحدُ منهم بالمؤدِّب، وكانت تُفرَض لهم رواتبُ كبيرة على غيرِ ما عليه معلِّمو الكتاتيب الذين كان أجرهم زهيدًا.

ومن بين معلِّمي أولاد الخاصة نفرٌ عُرِفوا واشتهروا بالعلم، منهم: المفضَّلُ الضَّبِّيُّ معلِّم المهدي، وقد اختار له المفضليات، تلك المجموعةَ الشعرية الفريدة في التراث العربي.

- ومنهم: الكِسائي النحوي معلِّم الرشيد وابنيه الأمينِ والمأمون.
- ومنهم قُطْرُبٌ النحوي، مؤدِّب الأمين، وأبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلاَّم مؤدِّب أبناء هرثمة قائد الرشيد والمأمون.

وظهرت مدرستا الكوفة والبصرة بجانب المساجدُ التي صارت ساحات العلم الكبرى؛ حيث يتحلَّق المتعلِّمون حول معلميهم، يكتبون ما يُملَى عليهم، أو يُلقَى إليهم من العلوم، وكان المعلم يتخذ أحيانًا مستمليًا يبلِّغُ كلامَه إلى البعيدين في الحلقة، وكان لكل فرع من المعرفة حلقاته:

- فحلقات للفقه.
- وحلقات للحديث.
- وحلقات للتفسير.
- وحلقات للغة والنحو.
- وحلقات للمتكلِّمين ، حيث يشتدُّ الحوارُ والمناظرات والجدَل.
- وحلقات للشعراء، وكان أبو تمام يحضُر هذه الحلقات في المساجد.

وساعد على ازدهار الحركة العلمية :

- أن الخلفاءُ والأمراء والوزراء والقادة يُجزلون العطاءَ لهؤلاء العلماء الذين يقُومون على هذه الحلقات.
- وساعد استخدام الورَقِ على نطاق واسع - أكثر من ذي قبل .

- في اتساع الحركة العلمية والثقافية، حتى أخَذ الكثيرون من الأفراد يُعنَوْنَ باقتناء المكتبات.
- ظهرت صنعةُ الوراقين، وأنشأ بعضُهم دكاكين كبيرة مُلِئت بالكتب يتَّجِرون فيها، وكان البعضُ يذهَبُ إلى هذه الدكاكين، لا ليشتريَ، بل ليقرأ فيها ما وسِعَتْه القراءةُ، نظير أجرٍ يتقاضاه الورَّاق.
- مجالسُ الخلفاء والوزراء والأمراء والسَّراةِ؛ حيث تُعقَد الندوات العلمية والثقافية بشكل متصل، ويتناظر فيها العلماءُ من كل صِنف، مثل مناظرة الكِسائي وسيبويه بين يدَيِ الرشيد، وكان مجلسُ المأمون ساحةً واسعة للجدال والمناظرة، وكان المأمون مثقفًا ثقافة واسعة بالعلوم الدينية واللغوية، والفلسفية، وعلوم الكلام، وكانت مجالسُ العلماء التي تضمُّ المتخصصين من كل لونٍ من العلوم أشبهَ بالمجامع العلمية، حتى لقد كان هناك - كما أشرنا من قبل مجالسُ يتحاورُ فيها العلماءُ مع الزنادقة؛ ليفنِّدوا آراءَهم واعتقاداتهم الباطلة.
- كانت أماكنُ المعرفة والثقافة مفتوحةً في كل مكان بأمصار العراق؛ فأبوابُ المساجد مفتوحة على مصاريعها لكل الواردينَ، ومثلُها دكاكين الورَّاقين.
- وكان التعليم مجانيًّا ومن حقِّ الجميع، وكان لذلك أثرُه البالغ؛ فبرز إلى جانب العلماء أعلامُ الشعراء لهذا العصر، مثل: بشار بن بُرد

وأبي نواس، وأبي العَتاهيَة، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام كانوا من طبقة العامَّة. ونمت الحياة العلمية نموا ملحوظا ، حتى لَيُعَدُّ بحقٍّ هذا العصرُ من أزهى العصور وأكثرِها ازدهارًا في الناحية العلمية والثقافية.

العلوم اللغوية والأدب والشعر:

وضَع الخليل علمَ العَروض كاملاً، وقد فتح بما وصفه في علم العَروض الباب واسعًا أمام العباسيين ليجدِّدوا في أوزان الشِّعر.

وخلَف الخليلَ بن أحمد على تراثه النَّحوي "سيبويه" تلميذُ الخليل الذي وضَع أشهر كتاب في النحو العربي، وهو المسمَّى ب: "الكتاب".

وقد تلقَّى هذا الكتابَ عن سيبويه من مشاهيرِ علماء اللغة والنحو تلميذه "الأخفش" الأوسط سعيدُ بنُ مَسْعدة .

وكان النحو نشِطًا في البصرة، والكوفة على خلاف بينهما : فقد كان مذهبَ البصرة في النحو يُعنَى بالقياس مستمدًّا له من استعمال العرب الشائع .

أما مذهبُ الكوفة فكان يُعنى بالسَّماعِ، ويقدِّمه على القياس مهما كان شاذًّا ونادرًا ومن علماء الكوفة الكِسائيُّ الذي ناظَر "سيبويه "في المسألة الزَّنبورية بحضورِ الرشيد، ، وبذلك اكتملت في العصر العباسيِّ الأول علومُ العربية، وأكملُها علمَاء النحوِ والتصريف، والعَروض.

العلوم الدينية واللغوية:

نشطت العلوم الدينية في ظلال الحديث النبوي، وقد أخذ المحدِّثون والرواة يضيفون إليه ما أُثِر عن الصحابة في تعاليم الدين، وفي تفسير القرآن الكريم، وبذلك حمل الحديث كل المادة المتصلة بالتشريع والفقه والتفسير وقد أخذ الحديث يُدوَّن تدوينا عامًّا منذ أوائل القرن الثاني للهجرة وكثرت التصانيف وأهمُّ كتابٍ وصل إلينا من هذين الجيلين كتاب :

" الموطأ" لمالكِ بن أنس إمام دار الهجرة، وهو مرتبٌ على أبواب الفقه.

ثم ظهرت المسانيد وأشهرُها مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني .

وفي تفسير القرآن الكريم وُجِدت مؤلَّفات فيه مستمدَّة مما أُثِر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من التفسير، ومما أُثِر عن الصحابة وخاصة أُبَي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس.

وبجانب التفسير ظهرت علومٌ قرآنية كثيرة مثل :

- علم غريب القرآن.
- وعلم معاني القرآن.
- وعلم قراءات القرآن.
- وعلم أحكام القرآن

وفي هذا العصر تقدمت العلوم الكونية في الطب والكيمياء والفيزياء وبرز على الساحة علماء أفذاذ مثل :

- الحسن بن الهيثم الذي ابدع في علم الضوء والبصريات.
- جابر بن حيان الذي نبغ في علم الكيمياء وله مؤلفات في المعادن والفلزات .
- والخوارزمي الذي نبغ في الرياضيات والجبر فوضع الكسور والعلامات العشرية والمعادلات الرياضية .
- وابن سينا الذي نبغ في الطب ووضع كتاب الشفاء وتحدث عن الأمراض ومسبباتها ووضع لها العلاج والأدوية .
- كما برع الكندي والفارابي في الموسيقا والغناء .